

رأى في موضع قبر المتنبي

بقلم : الدكتور عادل البكري
معاون رئيس مؤسسة مدينة الطب - بغداد

اهتمت بعض الجهات الرسمية والادبية في العراق بالبحث عن قبر الشاعر أبي الطيب المتنبي • وقد بذت جهود كبيرة في هذا المجال ، منها الاستفتاء الذي نظمته محافظة واسط في نيسان ١٩٦٧ حول موقع قبره ومدى صحة تسمية القبر الموجود حاليا خارج بلدة النعمانية بقبر المتنبي •

ولا تزال مثل هذه المحاولة قائمة الان • كما ان عددا كبيرا من المؤرخين تعرض لمكان مقتل هذا الشاعر العظيم • وكان الرأي المتفق عليه من أغليتهم انه قتل قرب النعمانية القديمة التي تقع أطلالها اليوم خارج بلدة النعمانية الحديثة • ونذكر في ما يلي عددا من المصادر التي ورد فيها ذكر هذا الموقع ورأي هؤلاء المؤلفين فيه :

موقع القتل

المصادر

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| قريبا من النعمانية | ١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير |
| في بيزع (بين دير العاقول وجبّل) | ٢ - معجم البلدان للحموي |
| في بنورا (قرب النعمانية) | ٣ - معجم البلدان للحموي |
| في هماينا (قرب الجانب الغربي) | ٤ - تكملة تاريخ الطبري للهمداني |
| بالقرب من النعمانية حيال الصافية | ٥ - ابن خلكان |
| بالقرب من النعمانية | ٦ - الانساب للسمعاني |
| ضبعة قرب دير العاقول | ٧ - الصبح المتنبي |

في الجانب الغربي قرب النعمانية
بالقرب من النعمانية
مات قتيلًا بالنعمانية
بالقرب من النعمانية

٨ - ابن الأنباري
٩ - شذرات الذهب لابن عماد
١٠ - النجوم الزاهرة لأبي المحاسن
١١ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

عبر الى النعمانية ليعبر الى الضفة الشرقية مرة
اخرى ؟ *

والجواب واضح اذا علمنا انه لا بد من أن
يعبر النهر ليواصل طريقه الى الكوفة بلدته التي
كان يقصدها والتي اعتاد أن يتوجه اليها كلما
رجع الى العراق من سفر طويل ، كما فعل عند
عودته من مصر بعد هربه من كافور لا سيما وانه
هذه المرة معه بغال موقرة بالأمثلة والاموال
والكتب وليس له أن يقصد بها بلدا غير بلده .
ومن المعلوم ان الطريق من واسط يمتد بازاء
الضفة الشرقية لان أغلب البلدان تقع عليها كما
ذكرنا سابقا . وعلى من يريد أن يسافر الى
الكوفة ان يسير في هذا الطريق حتى بلدة (جبل)
وهي بلدة مهمة يقول عنها ابن رسته في كتابه
(الاعلاق النفسية) انها : « مدينة كبيرة بها
مسجد جامع ودار طيخ للسلطان » ، وهي بلدة
أبي نصر الجبلي الذي زار المنتبي وقضى عنده
وقتا قويل مقتله ، والذي نصحه أن يكون على
حذر من فاتك . وعند بلدة جبل عليه أن يعبر
النهر الى الضفة الغربية ثم يسير نحو بلدة
النعمانية الواقعة على هذه الضفة ومنها يتوجه نحو
الكوفة سالكا السهل الممتد بين النهرين مبتعدا عن
دجلة . وأظن ان هذا الطريق لا يبتعد كثيرا
عن الطريق الحالي والذي يدعى الان بطريق

فان ثمانية من هذه المصادر تنص على ان
مقتله كان بالنعمانية أو بالقرب منها ، وان تسعة
منها (باضافة المصدر الرابع) تشير الى ان القتل
حدث في الجانب الغربي من نهر دجلة (على
اعتبار ان النعمانية وهمايتا تقعان في ذلك الجانب) .
أما المصدران الباقيان فهما يذكران ان القتل كان
بقر بدير العاقول الواقعة في الجانب الشرقي
من النهر .

وعليه فليس هناك شيء يدعوننا الى أن نهمل
جميع هذه المصادر التي تذكر ان موقع قتله
كان في الجانب الغربي من دجلة لتتمسك بالرأي
القائل انه في الجانب الشرقي وهو رأي بعض
المؤلفين الذين كان اعتقادهم انه طالما كان المنتبي
قادما من واسط فيجب أن يكون طريقه محاذيا
للنهر على الجانب الشرقي منه لان جميع البلدان
في تلك المنطقة تقع على هذا الجانب من النهر
(ما عدا النعمانية وهمايتا وقريه نهر ساس فهي
تقع على الضفة الغربية منه) . غير ان ورود
ذكر النعمانية هنا (وهي لا تقع على طريق
واسط التي جاء منها المنتبي ، يجعلنا نتساءل ما
الذي أتى به الى النعمانية ولماذا عبر النهر
للوصول اليها ؟ وهو أمر يكاد يكون سرا كما
يقول الدكتور عبدالوهاب عزام في كتابه (ذكرى
أبي الطيب بعد ألف عام) وهو يتساءل : هل انه

ومن النوع الذي كان يستعمل في الابنية القديمة . وقد سبق لي في عام ١٩٦٧ أن زرت المنطقة وأجريت كشفا على البناء والقبر ، وتبين لي ان البناء ، وعلى الاخص القبّة ، قد جرى تحديدها قبل مدة لا تزيد على النصف قرن غير انها لم تصمد طويلا أمام تقلبات الجو فأخذت بالتصدع منذ سنوات وقد تنهار تماما بين لحظة واخرى . ان هذا القبر هو الذي تعارف أهل منطقة النعمانية منذ أجيال بعيدة على انه قبر أبي الطيب المتبّي وهو الذي كان يثار حوله السؤال عن صحّة تسميته بقبر المتبّي من قبل الجهات العلمية والرسمية . ولم يعرف عن صاحب القبر انه من الأئمة أو الأولياء والصالحين لذلك بقي مهملا من عامة الناس ، غير انه في الوقت نفسه يتمتع بسجبة أهل المنطقة وحميتهم له . أما الاعراب والفلاحون المجاورون له فيطلقون عليه قبر (أبو سوره) ، وهم لا يعلمون أصل التسمية من أين أتت . ان جميع الدلائل التاريخية تؤكد (أو على الأقل انها لا تناقض) ان هذا القبر هو قبر المتبّي ، وأنا أميل الى الاعتقاد بأنه قبر المتبّي : فسوق القبر يتفق والمكان الذي قتل فيه المتبّي (بالقرب من النعمانية وفي أول طريق الكوفة ، في فلاة موحشة تقع قريبا من منازل عشيرة الكلايين) . وأنا لا أعتقد مطلقا ان المتبّي قتل في بقعة اخرى غير هذه . كما انه لا بد لي أن أذكر انه رغم مضي ألف عام على مقتل المتبّي فاننا لم نقرأ أو نسمع ان قبرا للمتبّي يوجد في مكان ما غير القبر الموجود حاليا في النعمانية رغم كثرة الباحثين الذين يهتمون بالشاعر المتبّي منذ

(الشوملي) وهو طريق قديم تسلكه السيارات بصعوبة في الوقت الحاضر وهي في طريقها من ايران والعمارة والكوت ، مارة بالنعمانية الى النجف والكوفة ، وقد يكون هو الطريق نفسه فهو أقرب طريق بين مدن القسم الجنوبي من دجلة وبين النجف والكوفة .

وانه ليس من المعقول أن يجمع هؤلاء المؤلفون على ان المتبّي قتل قرب النعمانية اذا كان قد قتل قرب دير العاقول مثلا ، وليس من الجائز أن يحددوا موقع دير العاقول بالنعمانية وبينهما مسافة طويلة في حين هناك بلدة جرجرايا المهمة أقرب الى دير العاقول من النعمانية فضلا عن انها تقع على الضفة الشرقية نفسها .

فاذا كان المتبّي ، وهو في طريقه الى الكوفة ، قد قتل قرب النعمانية فينبغي أن يكون موقع قتله ليس من جهة النهر (لانه لم يذكر أحد انه قتل على حافة النهر) ، بل في الجهة المعاكسة من البلدة أي في أول الطريق الذي يريد أن يسلكه المسافر الى الكوفة والنجف عند مغدرة النعمانية القديمة التي تقع أطلالها اليوم خارج النعمانية الحالية . وفي هذه المنطقة بالذات ، أي على بعد مسافة قصيرة الى الغرب من أطلال النعمانية القديمة ، يوجد بناء صغير مربع الشكل تعلوه قبة يبلغ ارتفاعها حوالي الاربعه أمتار ، وتحت القبّة قبر قديم متهدم يبلغ ارتفاعه حوالي النصف متر والبناء متهدم منهار كما ان القبّة متشققة متداعية الاركان ، وكل من القبر والبناء مبني بالآجر وهو خال من أية كتابة أو نقوش . والآجر المستعمل في البناء مربع الشكل

• مئات السنين

بقوله : نهر سورا بالضم : من نواحي الكوفة
(معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢١)

انا لا نعلم اذا كانت هناك علاقة أكيدة بين
تكنية أبي سورة وبين أبي الطيب المتنبي فهل هي
كنية أطلقت عليه بعد قتله تعريضا بكونه من
الكوفة ونسبة الى خمر سورا ؟ أم اشارة الى
سورة الغضب التي أدت به الى قتله ؟ أم انها
تعريض من خصومه بادعائه النبوة وتقولاه
(بسورة) يريد أن يعارض بها القرآن ؟ هذا
ما لا نعلمه •

وعلى أية حال فالرجل عظيم بل هو من
أعظم شعراء العرب قاطبة ، وان الامم تهتم
بعضائها وادبائها وشعرائها فتخلد ذكراهم وتبرز
قبورهم وتعرف الناس على مدى الاجيال بهم •
وهذا هو أبو الطيب المتنبي مالى الدنيا وشاغل
الناس يرقد رقدته الأبدية تحت أنقاض بناء
قديم مهدم ينتظر منا جميعا أن نقوم بحافز من
واجبنا تجاه الأدب العربي والشعر العربي ، وتجاه
شاعر عظيم غير عادي بتخليد ذكره • وانني
أقترح بهذه المناسبة اقامة مهرجان شعري في
العمانية يدعى له أدباء وشعراء من البلاد العربية
للمشاركة فيه ، وأن يكون ذلك بمناسبة تشييد
قبر فخم له مع نصب تذكاري ، والعمل على انشاء
مركز سياحي ثقافي الى جانبه مع قاعة صغيرة
لاستقبال الزوار من الادباء والسواح الذين
يفدون الى العمانية خلال أيام السنة لزيارة كبير
شعراء العرب أبي الطيب المتنبي •

ويجب أن نلتفت الى مسألة اخرى وهي
انه عندما قتل المتنبي أرسل أبو نصر الجلي الذي
سبق ذكره - وهو أحد وجهاء الناس في تلك
المنطقة - من يدفنه ، فقد جاء في افادة أبي نصر
على ما ذكره الخالد بأن قوله : « ولما صح خبر
قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت
دماؤهم هدرا » • ولا شك ان الدفن جرى في
مكان القتل فهو لم يرسل أشخاصا ليأتوه بالجثة
أو لينقلوها الى بلد آخر وانما أرسلهم ليدفنها
بعد أن بقيت في العراء مدة ، وفي هذه الحالة
تدفن الجثة حيث هي لا سيما اذا مضت عليها
أيام حيث يدب التفسخ فيها ويصعب نقلها من
موضعها •

أما تسمية (أبو سوره) أو سورا ، بامالة
الواو ، فلا يعلم ما هو المقصود منها غير ان هناك
مكانين يعرف كل منهما بهذا الاسم وهما :

١ - نهر سورا الذي يتفرع منه فرعان
يخترقان بلدة (جبل) وقد ذكره ابن رسته في
(الاعلاق النفسية) ص ١٨٧ طبعة
ليدن ، ويقع في الجانب الشرقي من دجلة وليس
الجانب الغربي ولا علاقة له بمنطقة العمانية •

٢ - سورا موضع بأرض الكوفة ذكره
ياقوت الحموي في معجمه بقوله سورا (على وزن
بشرى) موضع بالعراق من أرض بابل وهي
مدينة السريانيين وقد نسبوا اليها الخمر (معجم
البلدان ج ٣ ص ٢٧٩) وذكره في موضع آخر